

توطئة

الحمد لله القائل في محكم التنزيل :

﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ .

والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك . .
أما بعد :

فقد شاء الله - تبارك وتعالى - أن ألتقي على غير موعد ،
الدكتور : يوسف أبو هلالة (*) ، وكنت أسمع عنه خيراً ، وأن له
إسهاماً في الأدب الإسلامي محموداً . . . ثم تشعب الحديث
بحضور أصدقاء كرام من المدرسين في مدارس نجد ومنهم
الأساتذة : موسى العباس وأحمد القدومي و خليل الصمادي
و . . . ، فإذا بالرجل يشن هجوماً ضارياً على أهل الحديث
النبوي لقولهم بعدالة الصحابة ، زاعماً أنه لا سبيل إلى تمييز
الصحابي المؤمن من المنافق الزنديق !! ولذلك فليس ما يمنع من
أن يتعمد بعضهم الكذب على الوحي ، باختلاق أحاديث
ونسبتها إلى المصطفى ﷺ .

(*) لأن «أبو هلالة» اسم عائلة الدكتور يوسف وليس كنيته ، جرى استخدامه على حاله
بصرف النظر عن موقعه من الإعراب .



وحاولت أن أوضح له خطورة هذا المنزلق ، أو أن أفند دعاواه الباطلة ، فإذا به يأبى الحوار النظيف ، ولا يتيح لمخالفه فرصة للتعبير عن وجهة نظره . . وعند هذا الحد اضطرت أن أدعوه إلى مناظرة ، فقال : إنه يعد العدة لإظهار آرائه هذه مكتوبة!!

وبعد أيام حدثتُ أصدقاء - ومنهم : الدكتور عبد الجبار الزيدي والأستاذ إبراهيم الماجد - حدثتهم عما سمعته من أبي هلاله مع حرصي على ألا أبوح باسمه فإذا ببعضهم يقولون : أليس القائل هو : يوسف أبو هلاله؟! .

وتبددت دهشتي إذ اتضح أن الرجل يطرح ادعاءاته تلك في كل محفل يحضره ، بما في ذلك قاعات الدراسة الجامعية أمام طلابه(*) .

هنالك استقر في ضميري أن أرد على ما طرحه الدكتور أبو هلاله من شبهات ، من غير أن أسميه ، لأن الهدف ليس التشهير بشخص كائناً من كان ، وإنما تجلية الحقيقة لمن قد تضلله المزاعم التي لا أنكر أنها تثير بلبلة لمست شيئاً منها لدى آخرين ، لا يدركون خطأها . إلا أن الرجل لم ينشر شيئاً حتى تاريخه

(*) نشر الدكتور حسن أحمد الحيارى أفكاراً من هذا القبيل [مجلة الدراسات الإسلامية، المجلد ٢٧، العدد ١، ربيع ١٩٩٢م، ص ٤١-٨١، والمجلد نفسه، العدد ٢- صيف ١٩٩٢م، ص ٥-٦١].

ليكون ردي على كتابته ، وهو ما اضطرني إلى الجهر باسمه لئلا يكون الحديث عن مجهول العين .

وإذ أضع هذه الصفحات أمام القراء الأفاضل ، أرجو من ربي - سبحانه - أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم ، وأن ينفع بها من سمع بهذه الأباطيل فشوشت عليه الحقائق ، ومن يريد التزود لمواجهة من يروجون لهذه الافتراءات .

وأعوذ بالله من فتنة القول وفتنة العمل ، وأسأله - عز وجل - أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

وأما يوسف أبو هلاله فأدعوه إلى أن يقرأ هذه الرسالة بروح الباحث عن الحق ، فليس من طلب الحق فأخطأه مثل من طلب الباطل فأصابه - كما يروى عن الإمام علي « رضي الله عنه » - . إن الرجوع عن الخطأ فضيلة ، ولهذا صعد أبو الحسن الأشعري منبر الجامع في البصرة ، ليعلن رجوعه عن ضلالات المعتزلة إلى معتقد أهل السنة والجماعة^(١) ، آملاً أن ينجو - إن شاء الله - في الأخرى ، وارتفع شأنه عند أهل الحق في الدنيا .

وعلم الله أن المسألة بيني وبين صاحب مقولات الزيف عن الصحابة مسألة اعتقاد أدين لله به ، وليست خصومة

(١) الأشعري ، أبو الحسن علي بن إسماعيل ، الإبانة عن أصول الديانة ، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٠هـ ، ص ٣ ، ٤ .

شخصية . . . وهذا ما يجعلني على أتم الاستعداد للرجوع عن أي موقف في كتابي هذا ، يتضح أنه مخالف للحق أو مجاف للصواب . .

فالخطأ من نفسي ومن الشيطان .

ولا يسعني أن أختم هذه المقدمة دون إزجاء الشكر إلى الأخ الكريم : خالد بن عيسى عسيري ، لما أسداه إليّ من عون كريم في تخريج الأحاديث النبوية الواردة في هذا الكتاب ، فجزاه الله خيراً .

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الطاهرين ، وأصحابه البررة الميامين ، والتابعين بإحسان إلى يوم الدين .

الفقير إلى عفو ربه

منذر بن سليمان الأسعد

حرر بمدينة الرياض يوم السبت

٢٨ ربيع الآخر ١٤١٦ هـ

مضمون الدعوى

إن أبرز البنود في ادعاءات الدكتور يوسف ، ما يلي :

١ - أن أهل السنة يبالغون في القول بعدالة الصحابة مع أن بعضهم ارتد!!

٢ - أنهم يعدون معاوية بن أبي سفيان صحابياً عدلاً ، برغم كل ما فعل ، وكذلك عمرو بن العاص

٣ - أن معظمهم من النواصب الذين يبغضون الإمام علي ابن أبي طالب وذريته من آل البيت الكرام ، بدليل موقفهم مما شجر بينه وبين معاوية ، وبدليل أن البخاري ومسلماً لم يرويا عن جعفر الصادق ولو حديثاً واحداً . . . وبدليل أن اسم «علي» من الأسماء النادرة عندهم^(١) . . .

(١) من المثير للسخرية أنه استشهد لهذه المقولة بأن الأسرة السعودية المالكة ليس فيها من يسمى «علياً» ، ورغم تهافت هذه الحجة لأن أسرة واحدة حتى لو بلغ عدد أفرادها بضعة آلاف ليست حجة على مئات الملايين ، ورغم أن عدم التسمية باسم ما ليس دليل خصومة معه ، فإن الهوى جعله يتناسى أنه ليس فيها -في حدود علمي- أشخاص يحملون أسماء : أبو بكر وعثمان وعمر!! فهل يقوده منطق الجائر إلى أن أهل السنة يبغضون جميع الخلفاء الراشدين؟ .

٤ - استحالة التمييز بين الصحابي والمنافق .

٥ - اعتراف ابن شهاب الزهري بأنه كذب في الحديث النبوي لصالح الأمويين^(١) .

(١) من أمارات المكابرة أنه -في حديثه المذكور- أحال هذه الأكذوبة إلى الدكتور مصطفى السباعي «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» ، رافضاً ما أوضحه السباعي من الحق رداً على مفتريات المستشرقين وأشياعهم في حق واحد من أفاضل علماء السلف وهو ما سيتضح فيما بعد في هذا الكتاب .

في الإجراءات

قبل بيان الحق إزاء الأباطيل الموضحة فيما سبق لابد من التنبيه إلى أنه لا جديد فيها، فالعداء للصحابة والسنة الشريفة قديم، وتلك المقولات مشهورة منذ قرون، وهي المقولات التي تبناها غلاة المستشرقين الحاقدين - من أمثال: لامانس، وجولد زيهر ، فغربّوا بها وشرّقوا في إطار غاياتهم المريضة، وأهمها: العمل على تشويه رسالة الإسلام . .

على أن بدعة التطاول على الصحابة - كلهم أو جُلهم - لم تظهر بصورة جماعية سافرة في القرن الهجري الأول، وكذلك بدعة رفض السنة النبوية بذريعة جرح عدالة الصحابة . . سواء في ذلك الذين انحازوا إلى علي رضي الله عنه، والذين قاتلوه في موقعة الجمل أو صفين أو النهروان، والذين اعتزلوا الجميع . . لم يُردَّ خلال ذلك كله حديث نبوي واحد من أي فريق لطعن في رواته من الصحابة، وإنما كانت الحجج التي بنى عليها كل فريق موقفه، تدور حول فهم النصوص الشرعية - قرآنًا وسنة - وحول تأويلها . . وهذا ما سنقدم البراهين عليه في موضعه .

ومن المفارقات، أن الإساءة إلى الصحابة ظهرت في الأصل على يد بعض الولاة الظالمين في العهد الأموي، وهم من النواصب المبغضين لآل البيت، كالحجاج بن يوسف الثقفي وعبيد الله بن زياد^(١)، فهذه البدعة المنكرة بدأت على أيدي أعداء البيت، وذلك بخلاف ما يروم الدكتور أبو هلاله تصويره!!!

* ولم تبرز هذه البدعة الغليظة في هيئة تيار جماعي^(٢)، إلا في فترة متأخرة عند بعض رؤوس المعتزلة الذين وضعوا أهواءهم في مصادمة مع النصوص الصريحة، زاعمين أنهم احتكموا إلى العقل، مع أن العقل السليم يدحض تخرصاتهم..

وإن كان الإنصاف الذي تعلمناه من كتاب ربنا وسنة نبينا، يقتضي منا التنويه إلى أن المعتزلة -على تخبطهم منذ البداية- كانوا يلتزمون السنة النبوية معظم القرون الثلاثة المفضلة، وذلك ما نص عليه الخياط المعتزلي في كتابه «الانتصار» الذي ألفه قبل سنة ٣٠٠ هجرية^(٣)!!!

(١) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، ط ٤، دار المعارف/ بيروت، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ٨/ ٢٨٥، و ٩/ ٦٥.

(٢) لا ينسى المرء هنا أن يشير إلى ضلال الخوارج الذين كفروا عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وأصحاب الجمل... غير أن المقصود في البحث اتهام الصحابة بالنفاق عامة، وبالكذب على الوحي خاصة.. [انظر: الفرق بين الفرق - البغدادي - ص ٥٤].

(٣) الأعظمي، محمد مصطفى، مناهج المستشرقين، عدة باحثين، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، بحث: المستشرق شاخت والسنة النبوية، ص ٨٨، ٨٩.

بعد ذلك ظهر الطعن في الصحابة وفتاواهم، فنسبهم الضالون المضلون إلى الجهل أو النفاق - والعياذ بالله-، وبعض المعتزلة شكك في عدالة علي وابنيه وابن عباس وكل من شهد حرب الجمل من الفريقين، وقال واصل بن عطاء: لو شهد عندي علي وطلحة على باقة بقل، لم أحكم بشهادتهما، لعلمي بأن أحدهما فاسق وإن كنت لا أعرفه بعينه!!

أما عمرو بن عبيد فيفسق الفريقين معاً بأعيانهما^(١)!!

ثم فشت هذه البدعة النكراء في غلاة الشيعة والخوارج . .

وفي عصرنا الحديث أنعشها المستشرقون المتطرفون في عداوتهم للإسلام، وبخاصة جولد زيهر وشاخت وشبرنجر . . . وسار على نهجهم من تأثر بهم من أبناء المسلمين، كجماعة «القرآنيين» التي نشأت في شبه القارة الهندية، وطه حسين في «الفتنة الكبرى»، وأحمد أمين في «فجر الإسلام» وأبي رية في «أضواء على السنة المحمدية» وحسين أحمد أمين- في: «دليل المسلم الحزين»

(١) البغدادي، عبد القاهر بن طاهر، الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية منهم، ط ٥، دار الآفاق الجديدة بيروت، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ٣٠٥، ٣٠٦ .

على أن غلاة المستشرقين والمنصرين لم يبلغوا ما بلغه المبهورون بهم، فجولد زيهر وشاخت يزعمان عدم صحة الأحاديث النبوية، غير أنهما يلقيان مسؤولية الوضع فيها على التابعين، وشبرنجر يكاد يحصر افتراءاته في أبي هريرة..

في حين تصل فرية تكذيب الصحابة عند حسين أمين إلى الغالبية العظمى منهم^(١)!! بل تراه يؤيد علي عبد الرازق في تزوير حقائق التاريخ الناصعة، باتهامه أبا بكر الصديق بأنه لم يحارب المرتدين مانعي الزكاة دفاعاً عن الدين، وإغماً للسياسة والذود عن دولة العرب (مع أن المرتدين كانوا جميعاً من العرب!) وعن مصالح قريش (علماً بأن هذا الدين لم ينتشر إلا بعد عدة حروب بين رسول الله ﷺ والمسلمين في جهة، وقريش في جهة أخرى!!)^(٢).

(١) أمين، حسين أحمد، دليل المسلم الحزين، ط٣، مكتبة مدبولي بالقاهرة، ١٩٨٧م، ص ٥٩ (وجمع معه كتاب: حول الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية ط٢).

(٢) المرجع السابق، ص ٢٧٧ - ٢٩١.

وانظر الرد على مقولاته هذه: الأسعد، منذر، إسلام آخر زمن، ج١، ط١، دار المعراج الدولية للنشر بالرياض، ١٤١١هـ، ص ٥٥-٧٠.

خطورة الدعوة..

من حق القارئ أن يسأل عن الفائدة من دحض شبهات لا جديد فيها، لا سيما أن العلماء المخلصين كتبوا في بيان تهافتها مؤلفات عدة، منذ ابن قتيبة -رحمه الله- . غير أن دواعي تسطير هذا الرد، هي :

١ - أن الداعين إلى هذه الفرية في عصرنا، إما أنهم من اللادينيين (العلمانيين) المفضوحين، وإما أنهم من أتباع طوائف معروفة بشططها . . .

في حين أن الدكتور أبو هلاله هذا ليس من الفريقين، فهو معروف لدى الناس بأنه شاعر إسلامي، وذلك ما يلبس أمره ويسهل قبول كلامه، فيغتر بدعاواه قليلو الاطلاع على العلوم الشرعية وحقائق تاريخ الصدر الأول .

٢ - أن بعض مستندات ادعاءاته غير مشتهرة في زماننا، والردود عليها كذلك .

٣ - أنه يبيث مفترياته بين طلبته في الجامعة .

٤ - أن مسألة النفاق لم تحرر -فيما أعلم- تحريراً شافياً، لأنها لم تطرح من قبل على أيدي شخص ينتمي إلى أهل السنة .

٥ - أنه اشتط في مزاعمه الظالمة ، في حين نطالع مواقف منصفة من بعض المستشرقين ولدى مفكرين غير مسلمين ، من أمثال المؤرخ اللبناني : أسدرستم ، الذي يقول في مقدمة كتابه «مصطلح التاريخ» عن رسالة في مصطلح الحديث للقاضي عياض : (إن ما جاء فيها من مظاهر الدقة في التفكير والاستنتاج تحت عنوان : «تجري الرواية والمجيء باللفظ» ، يضاهي ماورد في الموضوع نفسه في كتب الفرنجة في أوروبا وأمريكا . . وبعض القواعد التي وضعها الأئمة منذ قرون عديدة للتوصل إلى الحقيقة في الحديث تتفق في جوهرها وبعض الأنظمة التي أقرها علماء أوروبا فيما بعد في بناء علم المنهجية «المثودولوجية» .

ولو أن مؤرخي أوروبا في العصور الحديثة اطلعوا على مصنفات الأئمة المحدثين لما تأخروا في تأسيس علم «المثودولوجية» حتى أواخر القرن الماضي . . فنؤكد لهم أن ما يفاخرون به من هذا القبيل نشأ وترعرع في بلادنا ، ونحن أحق الناس بتعليمه والعمل بأسسه وقواعده . . (١) .

(١) الكيلاني ، إسماعيل ، لماذا يزيغون التاريخ ، ط١ المكتب الإسلامي ، دمشق وبيروت ،

١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ص ٣٠٠-٣٠١ .